الدعوة الإسلامية بين العالمية والواقعية

د. إبراهيم علي مصطفي
رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

الآية:

قال تعالى(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً) صدق الله العظيم

(الأحزاب : ٤٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مستخلص البحث

الحمد لله الذي وفقني لاختيار هذا الموضوع والموسوم بهذا الاسم ونصلي على رسول الله ﷺ وقد قسمته إلى فصول ومباحث الفصل الأول وهو بعنوان المنهج العام للدعوة وتحته المبحث الأول وهو بعنوان الدعوة لغة واصطلاحاً وتعرضت إلى مراحل الدعوة ثم المبحث الثاني وهو حكم الدعوة وتناولت فيه آراء العلماء والاستشهاد بالآيات في ذلك أما المبحث الثالث فهو عالمية الدعوة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أما المبحث الرابع فهو عالمية الدعوة من خلال جهريتها قال تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾، أما الفصل الثاني فهو المفهوم العام للواقعية فمن واقع الدعوة الثبات والمرونة وهذا هو المبحث الأول أما المبحث الثاني فهو التوازن والوسطية في القرآن الكريم، والقرآن كتاب متوازن فيما جاء به من هداية ثم ختمت البحث بالنتائج والتوصيات.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق ابن آدم وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا ونصلي ونسلم على رسول الله ﷺ، صاحب الكلمة الصادقة والوعد الحق، والذي قال فيه ربه (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً)[١].

وأنه لمن فضل الله علينا أن أكرمنا الله تعالى بالعقل ثم أنزل علينا قرآناً يتمشي على حسب واقعنا كبشر فلا نجد فيه عسراً ولا إفراطاً ولا تفريطاً وكان من أحسن الكتب التي يعتنقها البشر وصدق الله

(١) سورة الأحزاب الآيات (٤٥-٤٦)

العظيم حيث قال (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[٢] فكان من الواقعية في الإسلام وفي الدعوة إليه أن الإنسان لا يطلب منه إلا ما يطيقه ولا يعمل إلا بما أمر ولا ينتهي إلا إذا كان جاءه النهي. ومن الواقعية بمكان الإنسان المدعو أن التزم بهذا الدين واستجاب لنداء الداعية وأصبح بين الخيارين وهو حر، قال تعالى(وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً)[٣] وقال تعالى(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[٤] وقال تعالى(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)[٥].

ولذلك من واقعية الدعوة أصبحت عالمية وعالميتها من واقعيتها لأن كل من أعتنق الإسلام لم يجد أحسن منه بل أن الإنسان أصبح عندما كان على الإسلام أصبح أمه متفاعلاً مع الإسلام قائماً بأمره ولم تخاطب الدعوة اللون الأبيض ولا الأسود ولا الأحمر ولا الصغير ولا الكبير ولا الشباب وحدهم ولا أصحاب الجاه وحدهم ولا الوجهاء وحدهم وإنما خاطب الكل بل خاطب جنس الإنسان أي قلب الإنسان على وجه التحديد. واعتبرت كل ما في الكون ومن وجود هو آية من آيات الله تعالى: قال تعالى(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[٦].

وبناءً على هذا أقدم بحثي هذا أسأل الله التوفيق، وقد قسمته إلى مباحث ومطالب واخترت المنهج الاستنباطي والاستقرائي.

الفصل الأول
المفهوم العام للدعوة

الدعوة إلى الله تعالى، هي دعوة عالمية وواقعية فكانت عالميتها من واقعيتها، والدعوة إلى الله تعالى هي مضمونها القرآن الكريم والقرآن الكريم، يقول(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[٧]. والقرآن الكريم يقول(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) [٨].

---

[٢] سورة الملك، الآية (١٤)
[٣] سورة الكهف، الآية (٢٩)
[٤] سورة البلد، الآية (١٠)
[٥] سورة الإنسان، الآية (٣)
[٦] سورة الروم، الآية (٢٠-٢١)
[٧] سورة النساء، الآية (١)
[٨] سورة لقمان، الآية (١)

والقرآن الكريم يقول(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [٩].

والقرآن الكريم(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[١٠].

والقرآن الكريم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[١١].

ومن خلال هذا الخطاب بأيها الناس أخذت الدعوة عالميتها وواقعيتها، فالدعوة إلى الله تعالى هي رحمة للعالمين لأن الرسول الكريم قال الله تعالى له (ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [١٢] فهو الرحمة لأن الدعوة أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: (الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ* اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)[١٣].

وهي أخذ الناس من ظلمات الجهل والأغلال والإصرار الذي كان على الناس، ويفضل الدعوة الإسلامية عرف الناس الحلال والحرام، قال تعالى(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [١٤].

ويتضح الكلام أكثر في هذا المبحث بعد الكلام عن المطلب الأول.

المبحث الأول: الدعوة لغة واصطلاحاً:

الدعوة لغة:

هي الطلب، يقال دعا بالشيء طلب إحضاره، ودعاه إلى الشيء حثه على قصده، يقال دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب حثه على اعتقاد وساقه إليه[١٥].

ويمكننا استخلاص المعني الاصطلاحي للدعوة من معناها اللغوي السابق وهو "الطلب والحث على الشيء والسوق إليه..."

فيتضمن معنى الدعوة إلى الإسلام طلب الناس وسوقهم إليه، وحثهم على الأخذ به.

---

[٩] سورة الحجرات، الآية (١٣)

[١٠] سورة النحل، الآية (٩٧)

[١١] سورة البقرة، الآية (٢١)

[١٢] سورة الأنبياء، الآية (١٠٧)

[١٣] سورة إبراهيم (١-٢)

[١٤] سورة الأعراف، الآية (١٥٧)

[١٥] المعجم الوسيط- مادة (علم)-ج٢-ص٦٣٠

ولكي يشمل تعريف الدعوة الإسلامية مراحل الدعوة الثلاث التبليغية، والتكوينية والتنفيذية من جهة، ولكي يحتوي على عناصر عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وعمل نبينا محمد ﷺ خاصة. من جهة أخرى أرى أن نعرف الدعوة الإسلامية اصطلاحاً بأنها: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة، فقد بيّن الله تعالى عمل رسوله ﷺ الداعية الأول للإسلام وفصله بما يشمل هذه العناصر الثلاثة في أكثر من موضع في كتابه فقال سبحانه وتعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)[١٦].

فقد شمل سبحانه "يتلوا عليهم" البيان والتبليغ وهو العنصر الأول من عناصر الدعوة، كما شمل قوله "ويزكيهم ويعلمهم الكتاب" التربية والتعليم، أو ما يعبر عنه عادة في المصطلح الدعوي "التكوين" كما شمل قوله "ويعلمهم الكتاب والحكمة" التطبيق والتنفيذ، لأن الكتاب هنا القرآن الكريم، والحكمة هنا السنة النبوية، والسنة في حقيقتها (الطريقة) أي: طريقة تطبيق هذا القرآن، فقد أوضحت السنة للمسلمين طريقة تطبيق القرآن على مستوي الأفراد والجماعات[١٧].

هذا جانب من تعريف الدعوة الإسلامية، ونرى أن العلماء قد عرفوا الدعوة الإسلامية بتعريفات مختلفة خاصة الدعوة في الاصطلاح. وارى لمزيد من الفائدة أن إطراق بعض المراجع لنتعرف أكثر على المعني اللغوي والاصطلاحي.

فنرى أن الدعوة في اللغة هي أن كلمة دعوة تأتي بمعني الاسم (دعا) كما تأتي بمعني الدعاء وهو العبادة أو النداء وكذا الدعوة إلى الشيء مثل الدعوة إلى الطعام. والدعوة تأتي بمعني القول، والدعوة تأتي بمعني السؤال كقوله تعالى على لسان بني إسرائيل عندما أمرهم الله أن يذبحوا بقرة (أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها) بعنوان بذلك أسأل لنا ربك.

ومن معاني الدعوة الأذان وهو النداء ومن معانيها الدعاية بمعناها الحسن، وليس المعني القبيح المتداول للدعاية[١٨].

أما الدعوة في عرف واصطلاح الدعاة فقد تعددت أراءهم حول ذلك وتباينت أفكارهم، وهنالك تساؤلات، هل الدعوة تعني الدين الإسلامي نفسه؟ أم تعني نشره وبيانه لغير المسلمين؟ أم تعني التعريف به وتعليمه للناس كافه...؟

ومن بين هذه التساؤلات نقول: أن الدعوة إلى الله تعالى هي "حركة علمية عملية لنشر الإسلام وتعليمه للناس وتعريفهم به على وجهه الصحيح، وفق منهج علمي مدروس بوسائل وأساليب راقية ومتجددة، بواسطة دعاة مسلمين يقومون به في الناس على هدى وبصيرة[١٩].

---

[١٦] سورة الجمعة، الآية (٢)

[١٧] المدخل إلى علم الدعوة–ط٣ ١٤١٥هـ١٩٩٥– مؤسسة الرسالة– بيروت– تأليف محمد أبو الفتح البيانوني–ص١٦–١٧.

[١٨] لسان العرب لابن منظور– مادة (دعا)– ج٢– ص١٣٨٥– طبع دار المعارف بالقاهرة– بدون تاريخ

ولو حللنا بعض مفردات هذا التعريف العلمي لوجدناه يناسب مقصود الدعوة الإسلامية فعندها نقول: أن الدعوة "حركة" نجد أن الإسلام يقوم على العمل الذي من لوازمه الحركة.

فالدعوة لا تقوم بدونها، بل إن الحركة قوام هذا الدين ومن ثم لا يفقهه إلا الذين يتحركون به ويجاهدون لتقريره من واقع الناس بالحركة العملية والتجارب تجزم بأن الذين لا يندمجون في الحركة بهذا الدين لا يفقهونه مهما تفرقوا لدراسته في الكتب، دراسة باردة، وأن اللمحات الكاشفة في هذا الدين، إنما تتجلي للمتحركين به حركه جهادية في أنفسهم وأهليهم وقومهم وفي الخارج لتقريره في حياة الناس ولا تتجلي للقاعدين والمخلفين الناظرين المتمشدقين به كلاماً أجوف لا يجاوز حناجرهم وحركة شفاههم واضطراب ألسنتهم المختلجة[٢٠].

ومن خلال هذا التعريف نرى عالمية الدعوة، وإنها حركة غير محددة بحدود، بل على الداعية أن يتحرك في كل أقطار الأرض، لا يوقفه إلا ظالم. وعندما ننظر إلى ما في المطلب القادم نجد عالمية الدعوة وذلك في حكمها حيث إن حكم الدعوة واجب على كل مسلم ومسلمه في كل بقاع الأرض. وذلك كما نرى في المطلب التالي:

المبحث الثاني: حكم الدعوة وآراء العلماء في ذلك

اتفق العلماء على وجوب الدعوة، واختلفوا في نوعية الوجوب هل هو على التعيين، أم على الكفاية؟ وتوسع كل طرف في الاستدلال على قوله بالنصوص الشرعية والأدلة العقلية، مما قد يشعر المطلع على هذا الخلاف والاستدلال بالبعد بين القولين، والأثر الكبير لهما في جانب العمل، والذي رأيته بعد متابعة القولين وأدلتهما أن الخلاف بينهما أشبه بالخلاف النظري، وتضيق المسافة بينهما في الجانب العملي.

وقبل أن أقرر هذه النتيجة، لابد من إلمامة مجملة بأصل الخلاف في المسألة مع الاستدلال عليها. فأقول استدل العلماء القائلون بالوجوب العيني بأدلة منها:

١. بأن لفظه "من" في قوله تعالى (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [٢١].

هي للبيان والتبيين، وليست للتبعيض وذلك بقرينة الأدلة الأخرى التالية، فتغيد هذه الآية عندهم توجيه الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين، فتكون الدعوة واجبه على كل فرد مسلم بقدر استطاعته.

---

[١٩] الدعوة الإسلامية- الشمول والاستيعاب- ط١ ٢٠٠٥م- مطابع السودان للعملة بالخرطوم- تأليف محمد زين الهادي العرمابي- ص٨-٩-١٠

[٢٠] الدعوة الإسلامية- الشمول والاستيعاب- ص١٠-١١- مصدر سابق.

[٢١] سورة آل عمران، الآية (١٠٤)

٢. بعموم قوله تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)[٢٢].

فجعلت الآية الدعوة سمة عامة من سمات الأمة المسلمة، فتكون واجبه عليها جميعاً.

٣. وبقوله ﷺ: "من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[٢٣].

واستدل العلماء القائلون بالوجوب الكفائي بأدلة منها:

١. بان لفظه "من" في قوله تعالى "ولتكن منكم أمه..." الآية هي للتبعيض، وذلك بقرينة الأدلة التالية.

٢. وبقوله سبحانه وتعالى (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[٢٤].

٣. ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل يحتاج إلى علم وبصيرة بالشروط والأحوال، وهذا لا يتوفر في جميع المسلمين فيكون الواجب على من توفر فيه الشروط، فإذا قام بواجب الدعوة من توفرت فيهم الشروط سقط الإثم عن الباقين.

وقد اختلف العلماء في ترجيح أحد القولين على الأخر، فمنهم من رجح القول الأول، ومنهم من رجح القول الثاني.

ولا أرى حاجة للدخول في هذه الترجيحات ما دام الخلاف في نظري خفيفاً ليس له من أثر عملي كبير... وذلك لما يلي:

١. لاتفاق الطرفين على أصل الوجوب.

٢. ولأن الذين قالوا بالوجوب الكفائي، يتفقون مع الآخرين بأنه إذا لم تحصل الكفاية لم يسقط الحكم عن الباقين، ويبقي الخطاب متوجهاً إلى الجميع حتى تتحقق الكفاية إذا لم تتحقق الكفاية أثم الجميع.

٣. ولأن الذين قالوا بالوجوب العيني، قيدوا الوجوب بالاستطاعة فمن لم يكن عالماً بحكم المنكر لا يعد مستطيعاً بالاتفاق، وكذلك من كان عاجزاً عن تغيير المنكر سقط عنه الوجوب فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرج على أحد. ولأنه لو سقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية

---

[٢٢] سورة آل عمران، الآية (١١٠)

[٢٣] صحيح مسلم –الحديث رقم (٤٥)– رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه– أنظر سنن الترمذي– ص(٢١٧٣) وأبي داؤود (١١٤٠).

[٢٤] سورة التوبة، الآية (١٢٢)

بقي حكم الندب، فيندب جميع المسلمين إلى القيام بالدعوة[٢٥]. استدلالاً بقوله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[٢٦].

ونرى أن الراجح هو الوجوب العيني لأن الله سبحانه وتعالى قال: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٢٧]. وتوضح الآية أن (منكم) للبيان وليس للتبعيض، وأن هذا الحكم في الدعوة هو لكل مسلم ليس لفئة معينة ولا جماعة ولا قبيلة هو حكم للجميع وهذا ما يدل على عالمية الدعوة والذي يتضح أكثر إن شاء الله في المبحث الثالث.

المبحث الثالث
عالمية الدعوة

عالمية الدعوة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وجاءت عالمية الدعوة من الآيات التي تحدثت عن الدعوة وأعطت أوامر لكل مسلم أن يقوم بأمر الدعوة، فالخطاب الدعوى لم يكن لزيد أو عبيد أو رجل الجزيرة العربية وترك رجل الأفريقية وإنما كان الخطاب للقلوب التي هي في قلب كل إنسان ذكراً أو أنثي كبيراً أو صغيراً ونجد ذلك في قوله تعالى(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٢٨].

وقال تعالى(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)[٢٩].

(وهنا نجد عالمية الدعوة إلى أي الرجل والمرأة المنتمي إلى الجماعة المسلمة ونجد الدعوة إلى الخير على أي إنسان وذلك في قوله تعالى "ولتكن منكم" "فلا بد من جماعة تدعوا إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهي عن المنكر، لابد من سلطة في الأرض تدعوا إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، والذي يقرر أنه لابد من سلطة هو مدلول النص القرآني ذاته. فهنالك (دعوة) إلى الخير ولكن هناك كذلك "أمر" بالمعروف. وهناك "نهي" عن المنكر، وإذا أن يقوم يقوم بالدعوة غير ذي سلطان فإن الأمر والنهي لا يقوم بهما إلا ذو سلطان.. أنه لابد من سلطة تأمر وتنهي، سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر، سلطة تجمع وحداتها وترتبط بحبل الله وحبل الأخوة في الله... سلطة تقوم على هاتين الركيزتين مجتمعتين لتحقيق منهج الله في حياة البشر.. وتحقيق هذا المنهج يقتضي "دعوة" إلى

---

[٢٥] المدخل إلى علم الدعوة– ص٣١-٣٢-٣٣-٣٤

[٢٦] سورة فصلت، الآية (٣٣)

[٢٧] سورة آل عمران، الآية (١٠٤)

[٢٨] سورة آل عمران، الآية (١٠٤)

[٢٩] سورة آل عمران، الآية (١١٠)

الخير يعرف منها الناس حقيقة هذا المنهج، ويقتضي سلطة تأمر) [٣٠] بالمعروف وتنهي عن المنكر... فتطاع... والله يقول"وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) فمنهج الله في الأرض ليس مجرد وعظ وإرشاد وبيان. فهذا شطر، أما الشطر الأخر فهو القيام بسلطة الأمر والنهي على تحقيق المعروف ونفي المنكر من الحياة البشرية وصيانة تقاليد الجماعة الخيرة من أن يعبث بها كل ذي هوى وكل ذي شهوه وكل ذي مصلحة، وضمانة هذه التقاليد الصالحة من أن يقول فيها كل أمري برأيه وبتصوره والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن ثم تكليف ليس بالهين ولا باليسير، وإذا نظرنا إلى طبيعته وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم، ومصالح بعضهم ومنافعهم، وغرور بعضهم وكبريائهم وفيهم الجبار القاسم وفيهم الحاكم المتسلط وفيهم الهابط الذي يكره الصعود. وفيهم المسترضي الذي يكره الاستقامة وفيهم ممن ينكرون المعروف ويعرفون المنكر ولا تفلح الأمة، ولا تفلح البشرية، إلا أن يسود الخير.

ومن ثم فلابد من جماعة تتلاقي على هاتين الركيزتين الإيمان بالله والإخوة في الله لتقوم على هذا الأمر "أولئك هم المفلحون" حيث أن قيام هذا الجماعة ضرورة من ضرورات المنهج الإله ذاته فهذه الجماعة هي الوسط الذي يتنفس فيه هذا المنهج ويتحقق في صورته الواقعية. هو الوسط الخير المتكافل المتعاون على دعوة الخير، المعروف فيه هو الخير والفضيلة والحق والعدل والمنكر فيه هو الشر والرذيلة والباطل والظلم عمل الخير فيه أيسر من عمل الشر، والفضيلة فيه أقل تكاليف من الرذيلة، والحق فيه أقوي من الباطل والعدل فيه أنفع من الظلم، فاعل الخير فيه يجد على الخير أعواناً وصانع الشر فيه يجد مقاومة وخذلانا.. ومن هنا قيمة هذا المجتمع أنه البيئة التي ينمو فيها الخير والحق بلا كبير جهد، لأن كل ما حوله وكل من حوله يعاونه، والتي لا ينمو فيها الشر والباطل إلا بعسر ومشقه، لأن كل ما حوله يعارضه ويقاومه[٣١].

والتصور الإسلامي عن الوجود والحياة والقيم والأعمال والأحداث والأشياء والأشخاص.. يختلف في هذا كله عن التصورات الجاهلية اختلافاً جوهرياً أصيلاً.

فلابد إذن من وسط خاص يعيش فيه هذا التصور بكل قيمة الخاصة. لابد له من وسط غير الوسط الجاهلي، ومن بيئة غير البيئة الجاهلية[٣٢].

ومن خلال الخطاب في الآية وما استعرضه صاحب الظلال نجد عالمية الدعوة سواء كان في المخاطبين أو الذين يقومون بأمر الدعوة.

---

[٣٠] في ظلال القرآن، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط١٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨١م، تأليف سيد قطب، ج١، الأجزاء ١-٤، ص٤٣٨-٤٣٩.

[٣١] في ظلال القرآن، المرجع السابق، ص٤٣٨-٤٣٩..

[٣٢] في ظلال القرآن- دار العلم للطباعة والنشر- جدة- ط١٢ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م- تأليف سيد قطب- ج المجلد الأول- الأجزاء (١-٤)- ص٤٣٨-٤٣٩.

ودعوة الإسلام هي دعوة عالمية، ودعوة تحول من الجاهلية والمادية أيا كان نوع هذا الإنسان حيث أن دعوة الإسلام لابد أن تصل إليه رغم اختلاف الزمان والمكان.

فالقرآن الكريم يقول في شأن بعثه المصطفي ﷺ (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) [٣٣]. أي ليس أجنبياً عنهم في لغتهم ولا غريباً عن بيئتهم وأحوالهم التي يعيشونها يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

وقد كانت مهمته عليه السلام بينهم أن يبلغهم آيات الله في كتابه وهو القرآن المجيد، حسبما كانت توحي إليه وأن يدعوهم على تطهير أنفسهم من العادات التي كانت تسيطر عليهم، والسبل التي كان يسلكونها في حياتهم.. وأن يعلمهم خيراً ما في كتاب الله من مبادئ وحكم تقوم عليها أمتهم وتتميز بها جماعتهم وهي مهمة ليست سهلة لأن الناس على عهده عليه السلام كانوا في ضلال مبين.. كانوا في شرك ووثنيه، كانوا في مادية وجاهلية.

فدعوة الرسول عليه السلام التي كانت قائمة على تبليغ الوحي الإلهي تنحصر في أمرين رئيسيين.

الأمر الأول: تطهير الناس من شركهم ووثنيتهم وجاهليتهم، أو كما عبر القرآن بأن يزكيهم أي ينميهم في مستوي الإنسانية وينقلهم في هذا المستوي من مرحلة إلى مرحلة أخرى بعدها أبلغ في هذا المستوي، حتى يتمه. فإذا تم هذا المستوي أدت الدعوة غايتها الأولي(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[٣٤].

الأمر الثاني: نقل الناس إلى نظام اجتماعي، واقتصادي، وسياسي، وسلوكي، وأخلاقي، يكفل لهم الترابط القوي وينقذهم من التمزق والفرقة التي تسود المجتمعات المادية عادة[٣٥].

وقال تعالى(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[٣٦].

---

[٣٣] سورة آل عمران، الآية (١٦٤)

[٣٤] المائدة، الآية (٣).

[٣٥] القرآن والمجتمع- مكتبة وهبه – ط١ ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

[٣٦] سورة آل عمران، الآية (١٠٣)

وبناءً على ما تقدم نجد أن الغاية من العالمية هي التحول لهذا المجتمع من الظلمات إلى النور أيا كان هذا المجتمع.

وعليه نجد أن هذا المجتمع هو مجتمع الروابط الإنسانية والتي تكونت إنسانية من الخطاب العالمي للدعوة وذلك كما جاء في القرآن الكريم والإنسانية التي يجب أن لا تكون على حسب القرابة والدم وإنما على حسب العقيدة لأن العقيدة خطابها لكل القلوب في البشر مهما كانت درجاتهم.

ولذلك نجد أن سيدنا نوح عليه السلام طلب من ربه أن يغفر لابنه وأن يشمله برحمته، وعلل طلبه هذا بأنه من أهله، فقال ونادي نوح ربه فقال(وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[٣٧].

وفي هذا الجواب ينكر الله على نوح أن يكون ابنه في عداد أهل نوح وجماعته إذ جماعته أو مجتمعه على الحقيقة يتكون من المؤمنين به وبرسالته وليس من أقربائه وذوي رحمه في الدم والعلاقة الأسرية، فالعلاقة في المجتمع المؤمن ليس علاقة الدم والقرابة وليست علاقة القبيلة والأسرة، إذن إنما هي علاقة الإيمان بالله والعمل الصالح وبهذا يوجه الله رسوله نوحاً إلى أن علاقة القرابة لا توضع موضع الاعتبار إطلاقاً عند تقييم الروابط التي يرتبط بها الأفراد فيما بينهم في مجتمع الرسالة، أنه ينبغي للرسول ولقائد مجتمع المؤمنين بعده أن يهتم بأفراد المجتمع على أساس الإيمان بينهم وليس على أساس القرابة وصلة الدم الذي يجري في عروقهم، وفي رسالة القرآن للرسول محمد عليه السلام طلب منه ومن المؤمنين به أن يلجأوا إلى هداية الله ويلوذوا بها دائماً في ترابط بعضهم ببعض وأن يعتصموا بها عندما ينشدون القوة والتآخي والمحبة فيما بينهم. فيقول(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[٣٨].

"وحبل الله هو هدايته في كتابه" ولا تفرقوا "أي لا تتوزعوا على أساس القبيلة والأسرة" واذكروا نعمة الله عليكم "الآن بعد الإيمان" إذ كنتم أعداء بسبب القبيلة التي كانت شايعه بينكم فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها.

فحبل الله أو هدايته تنطوي على مبادئ توجيه الرسالة الإلهية للإنسان وهي مبادئ تدفعه إلى أن يكون ذا مستوي فاصل في الإنسانية.. تحمل المؤمن بالله على أن يتحول من أنانيه يعيش تحت تأثيرها وينكر غيره في الوجود معه إلى أن يحس غيره كما يحس ذاته ويعيش لغيره كما يعيش لذاته، أي تحمله على أن يكون إنساناً في سلوكه وفي معاملته للآخرين، والدعوة إلى الاعتصام بهداية الله هي دعوته إلى

---

[٣٧] سورة هو، الآية (٤٥-٤٦)

[٣٨] سورة آل عمران، الآية (١٠٣)

النجاة من السقوط في الفرقة، وهي فرقة الخصومة بسبب الأنانية الغالية والسقوط في الفرقة معناه السقوط في الضعف، السقوط في الشحناء والبغضاء، السقوط في القتال والحروب .

((وإذا ذكرت الأنانية ذكر ما يقوم عليها من ترابط الأسرة والقبيلة والفرقة، وإذا ذكرت اللاأنانية أو هداية الله وحبله ذكرت الإنسانية وقيمها العليا التي تتمثل في المحبة والأخوة وروح التوادد والمعاونة والرسالة الإلهية إذن منذ أن عرفت على عهد أقدم الرسل وهو نوح إلى عهد رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام. تعني الروابط الإنسانية وحدها وتوجه المؤمن نحو إدراكها والتحول في الواقع إلى مستواها دون غيرها))[٣٩].

ومن خلال ما تقدم نجد أن الإسلام خطابه عالمي من خلال الدعوة إلى الله تعالى "والإسلام دعوة عالمية شاملة لا تخص جنساً دون جنس، ولا لوناً دون لون ولا قوماً دون قوم بل كانت دعوة للبشرية عامة قد راعي في الإنسان مطلق الإنسان ووضع في حسابه برنامجاً شاملاً يتفق وطبيعة الإنسان يتناول الجانب الروحي والجانب العقلي والجانب الجسدي، حتى يتضمن التوازن بين الجوانب الثلاثة، وبالتالي يضمن للإنسان حياة مستقرة لا قلق فيها ولا اضطراب"[٤٠].

نعم أن المسلم الذي يكون منهجه الإسلام يضمن له الإسلام حياة مستقرة لا قلق فيها ولا اضطراب قال تعالى(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[٤١].

والإسلام يعني الخضوع والاستسلام لرب العالمين وهو نوعان: الأول: استسلام قسري، والثاني: استسلام اختياري والنوع الأول في خضوع الإنسان لسنن الله تعالى في إيجاده وبقائه وفنائه، وسائر المخلوقات كالإنسان في هذا الخضوع أو الاستسلام القسري لله تعالى، والنوع الثاني من الاستسلام وهو الاختياري فإنه يظهر في خضوع الإنسان لله رب العالمين على وجه الطوع والاختيار.

وهذا الاستسلام الاختياري أصله في القلب ومظهره في الخارج، وهو الخضوع لشرع الله تعالى، وهذا هو جوهر الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده سماه الإسلام، قال تعالى(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[٤٢]. ومن ثم كان هذا الإسلام بهذا المعني هو دين الأنبياء جميعاً، قال ﷺ "إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد" وهذا الدين الواحد للأنبياء هو الاستسلام الاختياري المطلق لله والذي يظهر بالخضوع لشرع الله تعالى الذي قد يختلف باختلاف الأنبياء ثم خص لفظ (الإسلام) في عرف الاستعمال الشرعي بالشرع الذي أنزله الله وأوحي به إلى سيدنا محمد ﷺ وأمره بتبليغه للناس وأمرهم بالخضوع والانقياد له، وصار هذا

---

[٣٩] القرآن والمجتمع- ص٧٨-٧٩-٨٠-مصدر سابق

[٤٠] تقنين الدعوة- ط١ ١٤١٤هـ ١٩٩٤م- دار المجتمع للنشر والتوزيع- تأليف محمد السيد الوكيل- ص٦٨.

[٤١] سورة النحل، الآية (٩٧)

[٤٢] سورة آل عمران، الآية (١٩)

الشرع المنزل وأمر الله للناس جميعاً بالانقياد له وهو "الإسلام" المقبول عند الله الذي يجب على البشر اتخاذه دينا ولن يتقبل الله شيئاً ممن لا يتخذ هذا الإسلام دينا، قال تعالى(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[٤٣]. [٤٤]

وهذا الإسلام المخصوص هو الذي ارتضاه الله تعالى ديناً لمعاشر المسلمين قال تعالى(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[٤٥].

والإسلام عام في المكان والزمان، قال تعالى مخاطباً سيدنا محمد ﷺ(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[٤٦]. والشريعة الإسلامية باقية لا تنسخ لختم النبوات والرسالات بنبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ، ومن ثم فإن البشر مخاطبون بها في كل زمان ومكان، قال تعالى(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)[٤٧].

وتبليغ الإسلام والدعوة إليه من الواجبات الشرعية على كل مسلم ومسلمة[٤٨]. قال تعالى(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[٤٩]. وقد يقوم بهذا التبليغ للإسلام والدعوة إليه "أمة" أي جماعة من المسلمين، قال تعالى(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٥٠].

ونجد أن الإسلام هو رسالة من الله تعالى إلى الناس كافة دون تمييز بحسب اللون أو الجاه أو السلطان قال تعالى(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[٥١].

والإسلام كرسالة من الله إلى الناس جميعاً، يحرص كل الحرص على أن يوفر الكرامة الإنسانية للفرد، تلك الكرامة التي تتمثل أول ما تتمثل في الحرية الفردية. والمؤمنون من أجل ذلك سواء في القيمة

---

[٤٣] سورة آل عمران، الآية (٨٥)

[٤٤] أصول الدعوة، لبنان – بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ط١، تأليف دكتور عبد الكريم زيدان، ص٤٦٧-٤٦٩.

[٤٥] سورة المائدة، الآية (٣)

[٤٦] سورة الأعراف، الآية (١٥٨)

[٤٧] سورة الأحزاب، الآية (٤٠)

[٤٨] أصول الدعوة- ط١ ١٤٣١هـ-٢٠١٠م- مؤسسة الرسالة- ناشرون- بيروت- لبنان- تأليف د. عبد الكريم زيدان- ص٤٦٧-٤٦٨-٤٦٩.

[٤٩] سورة يوسف، الآية (١٠٨)

[٥٠] سورة آل عمران، الآية (١٠٤)

[٥١] سورة سبأ، الآية (٢٨)

والاعتبار، ويسعي بذمتهم أدناهم. وإذا كان موضوع الدعوة إلى الحق والقيم الإنسانية العليا، وفي مقدمتها الكرامة الإنسانية، والحرية الفردية، فالداعي لمثل هذه القيم لا يتصور في حقه مطلقاً أن يخرج من اعتبارها، سواء في التطبيق العملي في سلوكه، أو في الأسلوب الذي يعرض به دعوته ومعني ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك كل داعية للمستوي الإنساني الفاضل لا يليق في شأنه أن يكون مكرماً على الدعوة ولا ملزماً إياها في آية صورة من صور الإلزام والإكراه تقرأ قول الله جل شأنه(وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً)[٥٢].

... ففي هاتين الآيتين كذلك نجد أن القرآن الكريم يؤكد على الأسلوب البعيد عن الإكراه والإلزام، أوضح تأكيد فإذا عدنا مثلاً إلى قوله "وبالحق أنزلناه وبالحق نزل" نجد أن هذا القول ينطوي فيما ينطوي عليه. أن القرآن هو موضوع الدعوة الإسلامية ليس بحاجه إلى إكراه في قبوله لأن الحق والصدق لازمه "وبالحق نزل" وإذا انتقلنا إلى قوله "وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً".

نجد القرآن يؤكد خصيصة الأسلوب الذي تعرض به الدعوة وهو الأسلوب البعيد عن الإكراه، لأنه متى كان الداعي قد حددت وظيفته في دعوته عن طريق البشارة لمن يؤمن بها، وطريق الإنذار لمن يعارضها ويكفر بها.

وإذا ذهبنا إلى الآية الثانية "وقرآناً فرقناه لتقرءاه على الناس مكث ونزلناه تنزيلاً نلمس" إذ نزول القرآن مفرقا ليقرءاه الرسول على مهل، ثم تأكيد إنزاله من عند الله، يجعل لدى الذين يسمعون تلاوته وقتاً يتدبرون فيه ما جاء به، وطالما ترك للإنسان وقت للتدبر والتفكر في قبول الدعوة أو رفضها.

والقرآن بتحديد وظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام في دعوته إلى الحق، وإلى الهداية وإلى الطريق المستقيم، بأنه مبشر ومنذر مرة أخرى، مع ترك موضوع الدعوة مفتوحاً للقبول والأعراض وللإيمان والكفر يجعل من القرآن الكريم ومن الدعوة إليه مصدراً لتكريم الإنسان، والمحافظة على حرماته وعلى ممارسته لحريته الفردية، ومن أجل ذلك كانت دعوة الإسلام دعوة للإنسان في كرامته، وفي مستوي إنسانيته الرفيع[٥٣].

فهذه هي عالمية الدعوة وهكذا كان دأب رسول الله ﷺ واستحقت الدعوة عالميتها لأنها لم تلزم الفرد وإنما له حق الحوار وله حق الرفض وله حق القبول فلم يكن هنالك إكراه ولم يكن هنالك إلزام، لأن الأمر أمر بمعروف ونهي عن منكر، ولكن بالتي هي أحسن وذلك كما نجده في قوله تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ

---

[٥٢] سورة الإسراء الآيات (١٠٥-١٠٦)

[٥٣] الدين والدولة- من توجيه القرآن الكريم- ط٢ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م- دار غريب للطباعة- تأليف الدكتور محمد البهي- ص٤٥٩-٤٦٠.

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)[٥٤].

((إن التعبير بكلمة "أخرجت" المبني لغير الفاعل، تعبير يلفت النظر وهو يكاد يشي باليد المدبرة اللطيفة، يخرج هذه الأمة إخراجاً وتدفعها إلى الظهور دفعاً من ظلمات الغيب، ومن وراء الستار السرمدي الذي لا يعلم ما وراءه إلا الله... إنها كلمة تصور حركة خفية المسري، لطيفة الدبيب، حركة تخرج على مسرح الوجود أمة، أمة ذوات خواص بها مقام خاص، ولها حساب خاص))[٥٥].

"كنتم خير أمة أخرجت للناس" وهذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة؛ لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة بما أنها هي خير أمه. والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض. ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقي من غيرها من أمم الجاهلية. إنما ينبغي دائماً أن تعطي هذه الأمم مما لديها. وأن يكون لديها دائماً مما تعطيه، ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح، والتصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم الصحيح.. هذا واجبها الذي يحكمه عليها مكانها وتحتمها عليها غاية وجودها واجبها أن تكون في الطليعة دائماً، وفي مركز القيادة دائماً. ولهذا المركز تبعاته، فهو لا يؤخذ إدعاء، ولا يسلم لها به إلا أن تكون هي أهلا له... وهي بتصورها الاعتقادي وبنظامها الاجتماعي أهل له. فيبقي عليها أن تكون بتقدمها العلمي، وبعمارتها للأرض– قياماً بحق الخلافة أهلاً له كذلك.. ومن هذا يتبين أن المنهج الذي تقوم عليه هذه الأمة يطالبها بالشيء الكثير؛ ويدفعها إلى السبق في كل مجال.. لو أنها تتبعه وتلتزم به، وتدرك مقتضياته وتكاليفه.

ومن أول مقتضيات هذا المكان، أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد.. وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهي خير أمة أخرجت للناس لا عن مجاملة أو محاباة، ولا عن مصادفة أو جزاف تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً وليس توزيع الاختصاصات والكرامات كما كان أهل الكتاب يقولون: "نحن أبناء الله وأحباؤه".. كلا! إنما هو العمل الايجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر وإقامتها على المعروف مع الإيمان الذي يحدد المعروف والمنكر[٥٦].

"تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" فهو النهوض بتكاليف الأمة الخيرة، بكل ما وراء هذه التكاليف من متاعب وبكل ما في طريقها من أشواك.. إنه التعرض للشر والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد.. وكل هذا متعب شاق، ولكنه كذلك ضروري لإقامة المجتمع الصالح وصيانته؛ ولتحقيق الصورة التي يحب الله أن تكون عليها الحياة.. ولابد من الإيمان بالله ليوضع الميزان الصحيح للقيم، والتعريف الصحيح للمعروف والمنكر. فإن اصطلاح الجماعة وحده لا يكفي. فقد يعم

[٥٤] سورة آل عمران، الآية (١١٠)

[٥٥] في ظلال القرآن، ج١، مصدر سابق، ص٤٤١.

[٥٦] في ظلال القرآن، ج١، مصدر سابق، ص٤٤١.

الفساد حتى تضطرب الموازين وتختل ولابد من الرجوع إلى تصور ثابت للخير والشر، وللفضيلة والرزيلة وللمعروف والمنكر. يستند على قاعدة أخرى غير اصطلاح الناس في جيل من الأجيال.

وهذا ما يحققه الإيمان، بإقامة تصور صحيح للوجود وعلاقته بخالقه وللإنسان وغاية وجودة ومركزه الحقيقي في هذا الكون.. ومن هذا التصور العام تنبثق القواعد الأخلاقية. ومن الباعث على إرضاء الله وتوقي غضبه يندفع الناس لتحقيق هذه القواعد. ومن سلطان الله في الضمائر، وسلطان شريعته في المجتمع تقوم الحراسة ثم لابد من الإيمان أيضاً ليملك الدعاة إلى الخير الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، أن يمضوا في هذا الطريق الشاق، ويحملوا تكاليفه. وهم يواجهون طاغوت الشر في عنفوانه وجبروته، ويواجهون طاغوت الشهوة في عرامتها وشدتها، ويواجهون هبوط الأرواح، وكل العزائم، وثقله المطامع.. وزادهم هو الإيمان وعدتهم هي الإيمان، وسندهم هو الله.. وكل زاد سوى زاد الإيمان ينفذ وكل عدة سوى عدة الإيمان تفلّ، وكل سند غير سند الله ينهار!

وقد سبق في السياق الأمر التكليفي للجماعة المسلمة أن ينتدب من بينها من يقومون بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما هنا فقد وصفها الله سبحانه بان هذه صفتها ليدلها على أنها لا توجد وجوداً حقيقياً إلا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية التي تعرف بها في المجتمع الإنساني، فإما أن تقوم بالدعوة على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله فهي موجودة وهي مسلمة، وإما أن لا تقوم بشيء من هذا فهي غير موجودة، وغير متحققة فيها صفة الإسلام[٥٧].

وبناء على كل كلام صاحب الظلال نجد أن من عالمية الدعوة أن الأمر للجماعة المسلمة بأمر الدعوة هو أمر واجب ولتقوم هذه الجماعة لتوصل الدعوة إلى المدعوين في كل مكان وزمان، وإن كان غير ذلك فهو القصور من الجماعة وأصبحت الدعوة محلية غير عالمية. هذا وقد انتقلت الدعوة من المحلية إلى العالمية وخرج رسول الله ﷺ إلى خارج مكة حيث واصل رسول الله ﷺ دعوته، والتي لم تكن دعوة فقط محلية وإنما هي عالمية، قال تعالى(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً)[٥٨].

ولقد ورد في الظلال "أنه قد جاء هذا القرآن ليربي أمة، ولينشي مجتمعاً ويقيم نظاماً والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثر وانفعال بالكلمة وإلى حركة تترجم التأثر والانفعال إلى واقع. والنفس البشرية لا تحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليله بقراءة كتاب شامل للمنهج الجديد إنما تتأثر يوماً بعد يوم بطرق من هذا المنهج، وتتدرج في مراقبة رويداً رويداً وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً، فلا تجفل منه كما

[٥٧] في ظلال القرآن- ج(١)- ص٤٤١-٤٤٢- مصدر سابق.

[٥٨] سورة الفرقان الآيات (١-٢)

تجفل لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً. وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية فتصبح في اليوم التالي أكثر استعداداً للانتفاع بالوجبة التالية واشد قابلية لها والتذاذاً بها[٥٩].

ثم واصل رسول الله ﷺ، دعوته وفق ما قدر له داخلياً في مكة وخارجياً حول مكة، وفي أرجاء المعمورة رغم ما يقابله من مواقف مؤلمة ولكنها مؤقتة وهو مأمور بأن يتبع ما أوحي إليه قال تعالى(اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ* وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)[٦٠].

جاء في الرحيق المختوم أن النبي ﷺ خرج في السنة العاشرة في شهر شوال إلى الطائف التي تبعد ستين ميلاً عن مكة ماشياً على قدميه جيئة وذهاباً، ومعه مولاه زيد بن حارث، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام ولكن كيف دعا الرسول ﷺ إلى الإسلام وكيف قابله هؤلاء المدعوين وكيف استعمل رسول الله ﷺ الحكمة في الدعوة والتدرج بعد مارد عليه القوم بأقيم الألفاظ عندما دعاهم فرد عليهم بعبارة وهي "إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني"[٦١]. هذه العبارة جاءت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما اجتمع بثلاثة إخوة من رؤساء تثقيف، فلم يقل لهم ﷺ، إنه لابد من الإتباع ولابد من الانقياد للإسلام، ولكن قال لهم هذه العبارة التي يأمر الله تعالى بها، قال تعالى(وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)[٦٢].

هذه القاعدة التي ينطلق منها الرسول ﷺ في دعوته في تلك الفترة "تدرجاً" بعناية الله حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً. فجلس إلى رؤسائهم ودعاهم إلى الله تعالى، وإلى نصرة الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه "فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الأخر، أما وجد الله أحداً يرسله غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقد قال لهم إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني".

بل سلطوا عليه سفهاهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وحتى لجأ إلى حائط أبناء ربيعه وجلس عند شجرة عنب، ثم توجه إلى ربه بالشكوى، وقال في شكواه " اللهم إني أشكوا إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين"[٦٣].

هذه الجولة الدعوية كانت خارج مكة لرسول الله ﷺ ومن الملاحظ أن رسول الله ﷺ فهو من قريش وهؤلاء من بني ثقيف ولكن بعالمية الدعوة انتهت أواصر القبيلة وأصبح قوله تعالى "وما أرسلناك إلا كافة

---

[٥٩] في ظلال القرآن- ج٥- ص ٢٥٦٢- مرجع سابق

[٦٠] سورة الأنعام، الآية (١٠٦-١٠٧)

[٦١] الرحيق المختوم- تاريخ الطبع ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م- دار المؤيد- تأليف سيف الدين المبارك نوري- ص١٢٥

[٦٢] سورة الأنعام، الآية (١٠٧)

[٦٣] السيرة النبوية- لابن هشام- ج(١)- ص٤١٩-٤٢٠- بدون تاريخ

للناس بشيراً ونذيراً" أي كافة للناس في الهند أو الصين أو الجنوب الأفريقي أو دول أسيا أو دول الخليج أو الشمال الأفريقي أو القرن الأفريقي بل أم القرى ومن حولها، وبهذا كانت العالمية.

ثم قدر الله تعالى أن تكون الدعوة عالمية وفق إستراتيجية ربانية فبدأت من الخفاء ثم التكوين، ثم الجهرية والتي يكون الكلام فيها في:

المبحث الرابع: عالمية الدعوة من خلال المرحلة الجهرية

استمرت الدعوة في الخفاء ثلاث سنين كانت تسير فيها ببطء أو في دائرة ما يسمونها تحت الظل، وكان المسلمون يتحرقون شوقاً لليوم الذي تشق فيه الدعوة سماء قريش ويصك أذنها صادعاً أذان المشركين، ومعلوم أن السيرة قيد في امتداد الدعوة الأفقي والزمني، وهي تعتبر خصماً على نموها نمواً طبيعياً شأنها شأن كل الدعوات الأخرى فمتى تخرج هذه الدعوة من الخفاء الذي يخنق ويكتم أنفاس التواقين إلى نشرها وحملها للآخرين ليشركوهم معهم في هذا الخبر، أنهم يحترقون شوقاً لليوم الذي يخرجون فيه إلى العلن، وضمائرهم تقول لهم لماذا دينهم في الخفاء ودين الآخرين على باطله في العلانية؟

وهل نستحق هذه الدعوة الدنية والدونية؟ أو ليست هي على حق؟ ولماذا يؤخر الحق عن الناس؟ أفلا يجب أن يذاع على الفور؟ وبأقصى سرعة؟ كي يعم نعيمه كل البرية؟

وبعد تلك التفاعلات التي تعتلج في الصدور لم يدم بهم هذا الحال طويلاً، فقد ترجمه الفاروق الذي فرَّق الله به بين الحق والباطل عمر بن الخطاب، فقد أعلنها مخاطباً النبي ﷺ "يا رسول الله ألسن على الحق أن متنا أو حيينا؟ قال بلي والذي نفس بيده إنكم على الحق، وإن متم أو حييتم قال: قلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن فأخرجناه في صفين، حمزة في أحدهما، وأنا في الأخر وله كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد قال، فنظرت إليَّ قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماني رسول الله صلى الله عليه بالفاروق يومئذ"[٦٤].

فلما جاء الأمر الفاصل وحان وقت ظهور الدعوة وإعلانها كان ذلك بأمر الله لنبيه ﷺ، بأن يعلن الحق ويصدع به جهاراً نهاراً(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)[٦٥].

والله سبحانه وتعالى أختار له هذا اللفظ اللغوي حتى يريه أنه على الحق وأن صاحب الحق قوي بحقه لا يضعف ولا يلين، وقد ورد في الكشاف، حيث قال: "فأصدع بما تؤمر" أي فرق بين الحق والباطل، أي أظهر ما تؤمر به يقال: صدع بالحجة، إذ تكلم بها جهاراً[٦٦].

---

[٦٤] ذكره الحافظ بن حجر في الفتح وعزاه الدار قطني، كما عزاه أيضاً لابن أبي شيبه في تاريخه.

[٦٥] سورة الحجر، الآية (٩٤).

[٦٦] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل، ج٢، دار الفكر، تأليف أبو القاسم جار الله الزمخشري، ص٣٩٩.

ولهذا عندما أرسل الله تعالى هذه البرقية العاجلة التي تحمل في ثناياها وبين اسطرها مسابقة عجلة الزمن ودوران الأرض (فأصدع) والصدع يعطي هذه السرعة مع القوة فهو كموضة البرق الذي يسوق الديمة الهطالة لتروي غلة الصادي...

عندئذ حمل النبي ﷺ، آلته الإعلامية وصعد بها ربا التلال ليبثها بفضائيات وهوائيات ذلك الزمان حيث الصعود على التلال والأشجار والجبال. هو الوسيلة الإعلامية في ذلك الزمان الوحيد لإسماع أكبر عدد من الناس حيث مكبرات الصوت وهي أجهزة البث.

فكان ذلك بمثابة إعلان هوية هذه الدعوة التي لم تكن تظهر جليه أيام الاختفاء فعند ما حان الوقت للنقلة الجديدة والطور الجديد حيث الدعوة لابد أن تكون متجددة دائماً وباستمرار.

فعند ذلك صعد النبي ﷺ جبل الصفاء منادياً: يا صباحا!! فاجتمع عليه الناس بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ، يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لوي، أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا يسفح الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا نعم، قال إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

كانت تلك الدعوة عامة لبطون القبائل مجتمعة، وحتى لا يكون هذا العموم سبباً للإتكالية والتسويف، فيرميه كل فريق على الأخر، فتترهل الدعوة، ويتباطأ الناس في أخذ هذه الصيحة الداوية بحزم وعزم، فقد عاد الداعية للتذكير وتحديد الأمور بدقة، فخص كل فرد وفخذ وعائلة بأسمائهم للفت الانتباه وجلب الأنظار وأن الأمر يعني الجميع[٦٧].

ومن خلال علانية الدعوة نرى العالمية التي انطلقت من أم القرى إلى بلاد فارس والهند، ثم إلى كل فرد في سفوح الجبال وتحت الكهوف لا تأخذ الدعوة في عالميتها لوناً ولا جنساً ولا قبيلة.

وعلى ذلك استمرت الدعوة. ولها مقاصدها من خلال علانيتها وأهدافها كما نراها في الآتي:

١. من أهداف هذه المرحلة تقديم الدعوة للإسلام للناس وتعريفهم به صافياً وضاءاً لا عوج فيه ولا آمتا.
٢. فرض الدعوة نفسها كحقيقة واقعة لا تخطئها العين، قائمة تعمل في العلن، مما يسهل تعرف الناس عليها عن كثب.
٣. لا مانع أن تدخل الدعوة في كفاح علني مع الباطل.
٤. مقارنة الحجة بالحجة والدليل بالبرهان دحضاً لقوى الشر والبغي والطغيان.
٥. تعمل الدعوة في هذه المرحلة على رفع راية الإسلام وكسر شوكة الشرك بوسائل وأساليب منها:
   أ. ظهور الدعوة إلى الملأ يقوي شوكتها، ويعين المسلمين على الدفاع عن أنفسهم.
   ب. أسلوب الخطاب المباشر يجعل الناس يتعرفون عليها أكثر

[٦٧] الدعوة الإسلامية- الشمول والاستيعاب- ص٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٢.

ج. يمكن أن يستعمل الدعاة وسيلة التهادي والزيارات لجذب المدعوين.

د. ولقد استعمل النبي ﷺ، وسيلة التجوال يطوف على الأسواق وموارد المياه.

هـ. أسلوب القدوة والمحاكاة حيث يرى الناس سلوك المسلمين فيعجبون به[٦٨].

ونقول من خلال هذه الأهداف نجد أن الفتوى بعالمية الدعوة الإسلامية من هذه الأهداف والتي أخذت الدعوة الإسلامية عالميتها منها ترى إن إعلانها في مكة كان إعلاناً في كل مكان، لأن الله تعالى قال لرسوله ﷺ(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً)[٦٩].

ورسول الله ﷺ واصل دعوته العالمية، وحيث نجد من عالمية الدعوة واقعيتها وذلك كما نرى في الفصل الثاني.

الفصل الثاني
المفهوم العام للواقعية

الإسلام لا يغفل طبيعة الإنسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوي الرفيع الذي يرسمه لهم، وفي ضوء هذا النظر الواقعي جعل الإسلام حداً أدني أو مستوي أدني من الكمال لا يجوز الهبوط عنه؛ لأن هذا المستوي ضروري لتكوين شخصية المسلم ليكون في عداد المسلمين، ولأنه وضع على نحو يستطيع بلوغه أقل الناس قدرة على الارتفاع إلى مستوي الكمال، إن هذا المستوي الادني يتكون من جملة معان يجب القيام بها وهي المسماة بالفرائض، كما يشمل جملة معان يجب هجرها وهي المسماة بالمحرمات، إن هذه الفرائض والمحرمات جعلت بقدر طاقة أقل الناس استعداداً لفعل الخير وابتعاداً عن الشر ومن ثم يستطيع كل واحد الوفاء بمقتضاه، ولا يقدر في التخلف عنها. ولكن بجانب هذا المستوي الإلزام الواجب بلوغه على كل مسلم، وضعت الشريعة مستوى آخر أرفع منه وأوسع منه وحببت إلى الناس بلوغ هذا المستوي العالي، فإلزامهم به إرهاق لهم وحرج شديد، والحرج في شرع الإسلام مرفوع؛ لأنه يخالف نظرة الإسلام الواقعية، قال تعالى(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[٧٠]. وقال تعالى(لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا

[٦٨] الدعوة الإسلامية- الشمول والاستيعاب- ص٤٦- مرجع سابق.

[٦٩] سورة الأحزاب، الآية (٤٥-٤٦)

[٧٠] سورة الحج، الآية (٧٨)

بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[٧١]. وهذا المستوي العالي يشمل المندوبات التي ترغب الشريعة في القيام بها، والمكروهات التي ترغب الشريعة في ترك المسلم لها[٧٢].

وليس المراد بالواقعية الرضي بالحال التي عليها الإنسان في حال سموه وفي حال هبوطه، الواقعية المراد بها أن توضع التشريعات للإنسان من حيث هو إنسان. فالإنسان فيه القوة والضعف يعلو أحياناً ويهبط وبحاجه إلى شريعة ترقي به وتثني على استقامته إذا استقام، وتفتح له باب التوبة إذا أخطأ، ولا تكلفه ما لا يطيق وتحل له الطيبات وتحرم عليه الخبائث[٧٣].

وبناء على ذلك نرى واقعية الإسلام في العبادات والتشريع ونجد هذه الواقعية في العبادات والتشريع مثلاً فنجدها:

أولاً: في الصلاة: منها ما هو فرض ومنها ما هو مندوب، فالأول يدخل في معاني المستوى الأدنى، والثاني يدخل في معاني المستوى الأعلى، وفيه جاء عن رسول الله ﷺ: "من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعا بنى الله له بيتا في الجنة"[٧٤].

ثانياً: الصيام: الفرض منه صيام شهر رمضان، وهذا من معاني الحد الأدنى المطلوب، وصيام ست من شوال، والأيام البيض من كل شهر، وصوم الاثنين والخميس من معاني المستوى الأعلى.

ثالثاً: الحج: فرضه مرة في العمر، وما زاد فتطوع وهو من معاني المستوى الأعلى.

رابعاً: وفي إنفاق المال في سبيل الله، فريضة الزكاة، قال تعالى: (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ)[٧٥]. وفي صدقة التطوع يقول الله تعالى: (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)[٧٦].

خامساً: وفي الفصل شرع القصاص، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ...)[٧٧]. فلأهل القتيل المطالبة به، وهذا حقهم، ولا تسريب عليهم فيه، ولكن الإسلام ندب إلى العفو، وهو من معاني المستوى الأعلى، وفي قال تعالى في نفس الآية: (... فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ...)[٧٨].

---

[٧١] سورة البقرة، الآية (٢٨٦)

[٧٢] أصول الدعوة– ص٧١–٧٢– مصدر سابق

[٧٣] مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية– ص٨– مصدر سابق

[٧٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، عن أم حبيبة رضي الله عنها، حديث رقم (٢٠٤١)، ٢٣٣/٤.

[٧٥] سورة البقرة، الآية ٤٣.

[٧٦] سورة البقرة، الآية ٢٧٢.

[٧٧] سورة البقرة، الآية ١٧٨.

[٧٨] سورة البقرة، الآية ١٧٨.

سادساً: وفي الاعتداء بصورة عامة تجوز المعاقبة بالمثل والعفو والصبر أفضل، وهما من معاني المستوى الأعلى، قال تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ)[٧٩].

سابعاً: وفي البيوع والأشربة: حبب الإسلام للمسلم أن يكون سهلاً في بيعه وشرائه ومقاضاته، وهذه كلها من معاني المستوى الأعلى، قال رسول الله ﷺ: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى".

ثامناً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفائي يجب وجوده في الأمة، ويسوغ تركة باليد واللسان والاكتفاء بإنكار القلب بالنسبة لحاكم ظالم طاغية لا يتسع صدره لسماع نصيحة ويقتل من يأمره أو ينهاه، ولكن من المندوب إليه قيام المسلم بأمره ونهيه وأن أدى ذلك إلى قتله، وهذا من معاني المستوى الأعلى.

نحن بصدد الكلام عن الدعوة إلى الله بكل واقعيتها، والتي أخذت بين المدعو، وتعاملت معه ومع كل المستويات وذلك كما نرى في المبحث الأول.

المبحث الأول: الثبات والمرونة

إن الله سبحانه وتعالى جلت حكمته اختار هذا الإسلام منهجاً لحياة الناس كلهم على اختلاف بلدانهم وسحنانهم، وأزمانهم، يسيرون على هداه في شئونهم كلها، صغيرها وكبيرها حقيرها وعظيمها، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن الأدلة العقلية والواقعية على عالمية هذا المنهج الرباني، أن الله تعالى لم يبعث رسولاً بعد محمد ﷺ، وهذه حجة دامغه لمن لم يؤمن بالدليل النقلي الإسلامي، وذلك لأن الله لا يترك البشرية تتيه من غيرها هادياً يهديها لطريق الحق (مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)[٨٠].

فالله لا يترك الإنسانية بدون نبي يرشدها إلى الصلاح(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ)[٨١].

ومن واقعية هذه الدعوة الإسلامية، ومن خلال منهجها، جعل الله تعالى هذا المنهج مستمراً مع البشرية، وجعل له خصائص يتميز بها حيث يتلاءم ويتواءم مع كل الأعصار وكل الأجيال وكل الأمم كل يجد فيه بغيته ومراميه، لأن حاجات الناس وقضاياهم غير متناهية ولا محدودة، فهي تتلون وتتغير من حين لآخر، ولهذا جاء لمنهج الدعوة الإسلامية من حيث واقعيتها خصيصتان الأولي: "الثبات" والثانية: "المرونة" ولكل مميزات.

---

[٧٩] سورة النحل، الآية (١٢٦).

[٨٠] سورة الإسراء، الآية (١٥)

[٨١] سورة فاطر، الآية (٢٤).

مميزات الثبات:

١. يتميز الثبات بأنه يكون في أصول المنهج الدعوي، حيث نجد هذه الأصول غير قابلة للتغيير والتبديل أو الزيادة أو النقصان أو المد أو الجذر، ذلك لأن الله تكفل بحفظ هذه الأصول ورعايتها وصونها، ولم يكن ذلك لأحد من خلقه، حيث جاء هذا الدين يبقي مع الناس يصلح شأنهم، ويوسي أمرهم حتى يلاقوا ربهم.

٢. هذا الثبات يتميز بأنه لا تذروه الرياح الهوج ولا تجرفه السيول العرمة العاتية المنحطة من علٍ فهو كالصخرة الصماء الجمود تنزل المياه من جنباتها فتجلوها وتزيدها نصاعة ولمعاناً.

٣. من ميزات هذا الثبات أنه يحمي الدعوة من حيث واقعيتها ومن حيث عالميتها من الذوبان في الدعوات والثقافات والمناهج الأخرى، التي لم يتكفل الله بحفظها لأنه يعلم أنه سيأتي بمنهج آخر، ودعوة أخرى للبشرية، فأوكل حفظ أصول تلك المناهج والدعوات، لأحبارهم وقساوستهم، نأخذ لك من قوله تعالى(إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[٨٢].

مميزات المرونة:

حتى يتكامل هذا المنهج الإسلامي الدعوى ويكون صالحاً لكل زمان ومكان وكل جيل وكل امة، فلابد أن يتسم بالمطاوعة والواقعية.

والمرونة تكون في أطراف هذا المنهج وفروعه القابلة للاجتهاد وكما أن للثبات فوائد نجد أن للمرونة مميزات وفوائد منها:

١. تجعل الدعوة تساير الأعصار والأمصار.

٢. تتماشي مع المستجدات والمخترعات والمكتشفات العصرية وتستوعبها ولا تتناقض معها، أو تلفظها أو تجمد عنها أو تتحملها، ما دامت لا تتعارض مع الأصول والثوابت.

٣. المرونة في الفروع الدعوية تتيح للناس الحركة في شئونهم كلها بحرية تامة، داعين إلى الله من خلال دائرة الأصول الثابتة العريضة المميزة، فمهما تباينت عادات الشعوب وأعرافهم في الألبسة والاشربه والمآكل والمركب والسكن، فإنها لا تخرج عن هذا المنهج الدعوى ما دامت ضمن فروعة، حيث القاعدة الكبيرة المستوعبة التي تقول الأشياء على الإباحة ما لم يرد نص بتحريمها.

[٨٢] سورة المائدة، الآية (٤٤)

فمهما تغيرت الأشياء وتبدلت في هذا الإطار، فهي ضمن المنهج ولم تخرج عليه، وهذا معني قولهم في القاعدة الأخرى تتبدل الأحكام بتبدل الأزمان والأحكام التي تتبدل هي الأحكام الفرعية القابلة للاجتهاد وليست الأصول الثوابت التي يبني عليه(٨٣).

وبناءً على ما تقدم نجد أن الواقعية في كل شيء هي الثبات والمرونة والثبات والمرونة في الدعوة الإسلامية أمران أساسيان في الدعوة الإسلامية، لأن كثيراً من الناس عندما اختاروا الإسلام ما جذبهم إليه واقعيته التي تتناسب مع طبيعة البشر ذكراً أو أنثي، وكما يتضح ذلك في المطلب التالي.

المبحث الثاني
التوازن والوسطية

التوازن: وهي ("الانسجام" والائتلاف بين أجزاء الشيء ويقابلها "التنافر والاختلاف" ويعبر عنها بعضهم "بالوسطية" نسبة إلى الوسط ولا يشترط في توازن الشيء التساوي بين أجزائه، وإنما يكفي الاعتدال والانسجام فيما بينها، كما يقال عن الدَّم في جسم الإنسان إنه متوازن مع اختلاف نسبة تركيباته كماً)(٨٤).

والتوازن خصيصه متعلقة بخصيصه الشمول ومكملة لها، فلا يظهر جمال الشمول إلا بالتوازن.

قال تعالى(وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)(٨٥).

وقال أيضاً عن كتابه(أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً)(٨٦).

فالقرآن الكريم الذي هو مضمون الدعوة الإسلامية كتاب متوازن فيما جاء به من هداية وما عرضه من موضوعات وما عالجه من مشكلات يحقق انسجاماً بين الروح والمادة، وبين العقل والقلب وبين الحقوق والواجبات وما إلى ذلك من أوجه التوازن(٨٧).

والمقصود بالتوازن هو إعطاء كل جانب من جوانب الإنسان الثلاثة الروح والعقل والجسم حظه بحيث لا يطغي جانب منها على الأخر، ومن المعلوم أن الاهتمام بالروح فقط كما يفعل كثير من أهل الرياضيات والمتصوفين رهبانية نهي عنها الإسلام والاهتمام بالعقل فقط كما يفعل الفلاسفة ضرب من الهذيان لا يتفق والواقع العملي للإسلام، كما أن الاهتمام بالجسم فقط لا يتفق وإنسانية الإنسان. ولهذا كان لزاماً على من يتعامل مع الإنسان أن يراعي هذه الجوانب مجتمعة، فلا يهمل منها شيئاً، ولا يهتم بجانب دون الآخرين، حتى يتم التوازن المطلوب.

---

(٨٣) الدعوة الإسلامية- الشمول والاستيعاب- ص١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٧-١٧٨- مرجع سابق.

(٨٤) المدخل إلى علم الدعوة، ص١٢٧ – مصدر سابق.

(٨٥) سورة الرحمن الآيات (٧-٩)

(٨٦) سورة النساء، الآية (٨٢)

(٨٧) المدخل إلى علم الدعوة- ص١٢٧-١٢٨- مصدر سابق.

والإسلام كدعوة عالمية شاملة لا تخص جنساً دون جنس، ولا لوناً دون لون، ولا قوماً دون قوم بل كانت دعوة للبشرية عامة قد راعي في الإنسان مطلق إنسان ذلك التوازن، ووضع في حسابه برنامجاً شاملاً يتفق وطبيعة الإنسان، يتناول الجانب الروحي والجانب العقلي والجانب الجسدي حتى يتضمن التوازن بين الجوانب الثلاثة، وبالتالي يضمن للإنسان حياة مستقرة لا قلق فيها ولا اضطراب[٨٨].

وبناء على ما تقدم نجد أن التوازن والوسطية مكمّلات لبعض، فالأمر عندما يكون متوازناً فهو فيه وسطية. ولذلك عندما تتأمل في الإسلام نجد أن الإسلام يطرح مقابل التطرف الوسطية.

قال تعالى(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)[٨٩].

ويطرح مقابل الجمود والتحجر المرونة والتجديد: ويطرح مقابل العنف الحكمة والموعظة الحسنة والحوار: قال تعالى(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[٩٠]. ونرى عالمية الدعوة وواقعيتها في هذه الأوامر التي لم تكن لشخص معين وهي متناسبة مع المدعو.

وقال تعالى (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[٩١]. وكذلك نرى من عدل الدعوة وواقعيتها عدم المجادلة إلا بالتي هي أحسن، ونرى من العدل أن تكون الدعوة بالتي هي أحسن.

وقال تعالى(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[٩٢].

ويطرح مقابل الظلم القسط والعدل(فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)[٩٣].

وقال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[٩٤].

---

[٨٨] تقنين الدعوة- ط١ ١٤١٤هـ ١٩٩٤م- دار المجتمع للنشر والتوزيع- تأليف الدكتور محمد السيد الوكيل- ص٦٨

[٨٩] سورة البقرة، الآية (١٤٣)

[٩٠] سورة النحل، الآية (١٢٥)

[٩١] سورة العنكبوت، الآية (٤٦)

[٩٢] سورة فصلت، الآية (٣٤)

[٩٣] سورة المائدة، الآية (٨)

[٩٤] سورة النساء، الآية (٥٨)

وقال تعالى(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً)[٩٥].

وقال تعالى(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[٩٦].

ونرى من عالمية الدعوة وواقعيتها الأوامر وحفظ الأمانة والعدالة للجميع. وورد في تفسير الطبري، وذلك في قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ). حيث قال إن معنى العدل من هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كل عمل لله عملاً وإن معنى الإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته وأن الفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته[٩٧].

وقال تعالى(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[٩٨].

وقال تعالي(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[٩٩].

ويطرح مقابل التجاوز والتعدي العفو والصفح والمغفرة(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[١٠٠].

وقال تعالى(وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[١٠١].

وقال تعالى(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[١٠٢].

وقال تعالى(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)[١٠٣].

---

[٩٥] سورة النحل، الآية (٩٠)

[٩٦] سورة الحجرات، الآية (٩)

[٩٧] تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، القاهرة، ج١٣، ص١٦٩.

[٩٨] سورة المائدة، الآية (٤٢)

[٩٩] سورة الأعراف، الآية (٢٩)

[١٠٠] سورة التقابن، الآية (١٤)

[١٠١] سورة النور، الآية (٢٢)

[١٠٢] سورة المائدة، الآية (١٣)

[١٠٣] سورة الحجر، الآية (٨٥)

ويطرح مقابل التحرُّف والاختلاف الوحدة والأخوة والائتلاف(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)[١٠٤].

وقال تعالى(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[١٠٥].

وقال تعالى(وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[١٠٦].

ويطرح مقابل الاقتتال الصلح، ومقابل البغي الفيء إلى أمر الله (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[١٠٧].

ويطرح مقابل التخاصم والتباعد عن أهل الكتاب التلاقي معهم على القضايا والأمور المشتركة.

قال تعالى(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[١٠٨].

ويطرح مقابل العصبيات القبلية والنعرات الوطنية والقومية التعارف والتعاون بين الناس من جميع الأجناس والقوميات والأديان(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[١٠٩].

فهذه وسطية الإسلام مقابل الأصولية اليمينية الغربية[١١٠].

وبناءً على ما تقدم نجد أن التوازن والوسطية هما من المناهج الإسلامية الدعوية، وهما من أميز خصائص الدعوة الإسلامية ولهذا نقول إن كلا من التوازن والوسطية سنة كونية أقام الله عليها كونه، فكل شيء في الكون متوازن ووسط لا خلل فيه ولا تطرف ولا تفاوت(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ)[١١١].

---

[١٠٤] سورة الأنبياء، الآية (٩٢)

[١٠٥] سورة آل عمران، الآية (١٠٣)

[١٠٦] سورة الأنفال، الآية (٦٣)

[١٠٧] سورة الحجرات، الآية (٩)

[١٠٨] سورة آل عمران، الآية (٦٤)

[١٠٩] سورة الحجرات، الآية (١٣)

[١١٠] مجلة معالم الثقافة الإسلامية– شركة مطابع السودان للعملة الواحدة– بدون تاريخ– تأليف د. عبد الرحمن عمر محي الدين– ص٢٢٣–٢٢٤

[١١١] سورة الملك، الآية (٣)

وكلما ما كان الداعي متوازناً وسطياً فيما يأتي وما يدع كلما سار مع منهج الله في الكون فتصلح حاله وتجب دعوته وينتفع الناس بها لأنها سارت مع منهج الله في الكون.

فجاذبية الأرض تمشي بتوازن وجاذبية النجوم لذلك حتى نصل إلى جاذبية الذرات سالبها مع موجبها، والتوازن والتوسط يتناولان أشياء كثيرة في حياة الداعية منها:

توازن الداعي بينه وبين نفسه

أن الداعي إذا لم يسر بانضباط وتؤام مع نفسه، فلا يرجي منه أن يفعل ذلك التوازن والتوسط مع غيره، فالله بدأ للإنسان بنفسه ثم أهله(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[١١٢].

والنبي ﷺ كان يحث دائماً على البداية بإصلاح النفس أولاً في كل شيء حتى الجانب الاقتصادي وذلك ليتقوي هو أولاً لكي يكون قادراً على إعاشة عياله.

والرسول ﷺ عندما قال له رجل يا رسول عندي دينار

قال: "تصدق به على نفسك"

قال: عندي آخر

فقال: تصدق به على زوجك

فقال: عندي آخر

فقال: تصدق به على ولدك

فقال: عندي آخر

فقال: تصدق به على خادمك

فقال: عندي آخر

فقال: أنت أبصر به[١١٣].

فالتوازن والوسطية من الأسس المتينة في المنهج الدعوي المعاصر في مثل هذا العصر.

فالدعاة بحاجه ماسة لهذه الوسطية الإسلامية المتوازنة خاصة مع قلة العلم الشرعي والأصيل وكثرة مصادر المعرفة العامة غير الثابتة وغير الأصيلة المتجذرة.

والدعاة محتاجون إلى الوسطية والتوازن في مسكنهم وملبسهم ومركبهم وهندامهم وسمتهم وتعاملهم وتحادثهم وفي حكمهم على الآخرين من الدعاة والعلماء والمدعوين عموماً وكل من يخالفهم الرأي حتى لا يأخذوا الناس بالظنه والتهمة التي لا تثبت أو يكفرون الناس ويجهلونهم ويبعدونهم بفهمهم هم للنص!! ضاربين عرض الحائط بفهم الآخرين.

---

[١١٢] سورة التحريم، الآية (٦)

[١١٣] أخرجه الإمام احمد في سنده- ج(٢)- ص٢٥١-٢٧١- والنسائي في كتاب الزكاة- باب (٥٤) حديث رقم ٢٥٣٥

فالتثبت حتى مرحلة اليقين هو منهج التوازن الذي نص عليه القرآن [١١٤].

قال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[١١٥].

وفي ختام هذا البحث أسأل الله تعالى التوفيق وأن نوفق في القيام بأمر الدعوة عالمياً وواقعياً والله نعم المولي ونعم النصير، ومن خلال هذا البحث توصلت إلى النتائج والتوصيات الآتية:

النتائج

١. الدعوة الإسلامية انتشرت للناس من خلال واقعيتها
٢. الخطاب الدعوي للدعوة يأخذ القلوب بالتدرج دون قهر ولا إملاء
٣. الإسلام دين توازن بين الجسد والروح والعقل
٤. القرآن الكريم مضمون الدعوة لم يفرط في شيء وبيّن كل شيء، وبالتالي أصبحت العالمية والواقعية
٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمران واجبان في كل مكان وزمان، وبالتالي كانت عالمية الدعوة
٦. تقديم الدعوة على هدي وبصيرة ومنهجية واضحة في النص والاجتهاد
٧. تكون الدعوة عالمية إذا استخدم الداعية الوسائل من خلال المنهج
٨. تكون الدعوة واقعية إذا ناسب المقال واقع الحال.

[١١٤] الدعوة الإسلامية- الشمول والاستيعاب- ص١٨١-١٨٢-١٨٣

[١١٥] سورة الحجرات، الآية (٦)

التوصيات

١. أوصي الدعاة التزوَّد من المعرفة بكل أنواعها حتى تكون الدعوة لكل الناس.
٢. أوصي الدعاة بأن يضعوا لكل مدعو منهجه حتى تكون الدعوة واقعية.
٣. أوصي الدعاة بأن يلتزموا سنة التَّدرج مع المدعوين حتى تكون واقعية وعالمية.
٤. يجب استخدام المنهج والأسلوب والوسيلة حتى تأخذ الدعوة عالميتها وواقعيتها.
٥. على الداعية أن يبتكر من الوسائل الدعوية التي تتناسب مع هذا العصر.
٦. على الدعاة أن يمارسوا وسيلة التجوال حتى تكون الدعوة عالمية وواقعية.
٧. على الداعية أن يتعرف على المدعو وذلك من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
٨. يجب تطوير الخطاب الدعوى وذلك وفقاً للتطورات المناوئة للدعوة.

المصادر

رقم	
١.	أصول الدعوة – مؤسسة الرسالة – بيروت – تأليف عبدالكريم زيدان.
٢.	تقنين الدعوة – دار المجتمع – محمد سيد الوكيل.
٣.	الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب – مطابع السودان للعملة – الخرطوم – تأليف العرمابي.
٤.	الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم – دار غريب – تأليف محمد اليحصبي.
٥.	الرحيق المختوم – دار المؤيد – تأليف سيف الدين المباركفوري.
٦.	السيرة النبوية لابن هشام.
٧.	صحيح مسلم.
٨.	في ظلال القرآن – دار العلم – سيد قطب.
٩.	القرآن والمجتمع – مكتبة وهبة.
١٠.	لسان العرب – لابن منظور – دار المعارف بالقاهرة.
١١.	المدخل إلى علم الدعوة – مؤسسة الرسالة – بيروت تأليف محمد أبو الفتح البيانوني.
١٢.	المعجم الوسيط.